

كلمة دولة الدكتور عبد السلام المجالي
رئيس مجلس إدارة أكاديمية العالم الإسلامي للعلوم

أكاديمية فلسطين للعلوم والتكنولوجيا
رام الله - فلسطين
28 أيلول 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخوة الأحبة رئيس
وأعضاء أكاديمية فلسطين للعلوم والتكنولوجيا
السيدات والسادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد سعدت أيما سعادة أن أشارككم في هذا اللقاء الخير في رحاب أكاديمية
فلسطين للعلوم والتكنولوجيا.

وأنا الشاكر لكم ما أضفيتم علي أن أكون عضو شرف في مؤسستكم
الشابة والتي تنمو في جو عاصف يحيط بها في عالمنا العربي.

الأخوة والأخوات الأجلاء

إن العالم الإسلامي الذي يتكون من مجموعة الدول الأعضاء في منظمة
المؤتمر الإسلامي وعددها 57 دولة في الوقت الحاضر، والجاليات المسلمة
في الصين والهند والفدرالية الروسية وشمال أوروبا والأمريكيتين، يشكل
ثقلاً جغرافياً وتاريخياً وحضارياً هاماً، ولكن أهميته متواضعة من حيث
النتائج الاقتصادية والمساهمة في الناتج الكوني الإجمالي وبالتالي سياسياً.
ولأن معظم الدول الإسلامية تعاني من التأخر في مجال العلوم
والتكنولوجيا الأمر الذي ينعكس بشكل مباشر على تأخرها الاقتصادي
والاجتماعي.

أيتها السيدات، أيها السادة

ما كان الدين الإسلامي الحنيف والعقيدة الإسلامية السمحة يوماً إلا بيئة
خصبة للعلماء والمفكرين والأكاديميين الألمعيين. وقد شهدت الفترة ما بين
القرن الثامن الميلادي والقرن الثاني عشر ميلادي نهضة علمية
وتكنولوجية متميزة في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

ومن الحوافز الرئيسية لمثل هذا التميز أن الإسلام ديناً يحفّز الإنسان على التعلم والتفكر في أمور الدنيا. والقرآن الكريم يحتوي على أكثر من 1700 آية تتضمن كلمات لها علاقة بالقدرات الذهنية للإنسان ومنها على سبيل المثال (نَظَر، رَأَى، أَبْصَرَ، أَوَّلَ، عَلَّمَ عِلْمَ، فَقَّه)....، وهناك أيضاً أمثلة متعددة حول أهمية طلب العلم والمعرفة وملاحظة وقياس الأمور وتحليل مبادئها بهدف اكتشاف أسرارها وبهدف تعميق إيمان المرء بخالقه. أطلبوا العلم ولو في الصين.

لقد وهب الله (عز وجل) الإنسان نظاماً معلوماتياً دقيقاً يتعلق بشؤون حياته واحتياجاته. وحث المسلم على البحث والتفكر في كل الأمور بهدف الوصول إلى نواميس الكون والطبيعة. والقرآن الكريم يغطي الجانب الإستنتاجي المباشر والتفكّري في استنباط الأمور.

ولعله من الممكن ان نلخص النظرة للعلم والتكنولوجيا بخمسة مفاهيم وعلى النحو التالي:

- (1) طلب العلم (التعلّم). (Education)
- (2) توليد معرفة جديدة (علم) (Science)
- (3) استخدام المعرفة لمنفعة الإنسان (تكنولوجيا) (Technology)
- (4) تحفيز نشاط القطاع الخاص (النشاط الاستثماري) (Entrepreneurial Activity)
- (5) التجارة الحرة (السوق الإسلامية المشتركة) (Common Market)
- (6) العدل الاجتماعي (Equitable Wealth Distribution)

الأخوات والأخوة الكرام

شهدت الدولة العباسية والتي ازدهرت ما بين 750م-1258م الحقبة الإسلامية الذهبية في العلوم، والتي تمثلت في نشوء أنماط علمية محدثة في الفكر العلمي، وقد كان العلماء المسلمون بشكل عام رواداً في مجال المعرفة العلمية الحديثة وفي مأسسة ومنهجة البحث العلمي.

ولعل الإنجازات العلمية لـ لابن الهيثم وابن سينا والخوارزمي تمثل بشكل واضح المنهجية العلمية الفريدة التي طورت والتي نلخصها على النحو التالي:

- أ) مراقبة وإجراء تجارب في شؤون الظواهر الطبيعية.
- ب) مراقبة علمية وإجراء تجارب للوصول إلى قوانين الطبيعة.
- ج) طرح الأفكار والنظريات لتفسير الظواهر الطبيعية.
- د) التنبؤ والاكتشاف استناداً إلى الأفكار المطروحة لاكتشاف ظواهر طبيعية جديدة.

أيتها الأخوات، أيها الأخوة

يحتل العالم الإسلامي الحزام الأوسط مما كان يسمى بالعالم القديم ويمتاز بموقع استراتيجي يشرف على المنافذ البرية والبحرية والجوية التي تربط آسيا بإفريقيا وأوروبا. وتبلغ مساحة العالم الإسلامي ما يقارب من 27 مليون كم² تمثل ما يقارب من 20% من مساحة اليابسة في العالم وثلاثة أضعاف مساحة قارة أوروبا تقريباً.

ويبلغ عدد سكان العالم الإسلامي باستثناء الجاليات الإسلامية التي تعيش خارج الدول الإسلامية حوالي (1300) مليون نسمة، ويزيد معدل النمو الدول الإسلامي السكاني عن المعدل العالمي.

أما على الصعيد العلمي والتكنولوجي فيمكن تصنيف الدول الإسلامية إلى دول متقدمة تكنولوجياً أو متوسطة التقدم أو دول متأخرة.

لقد عانت غالبية الدول الإسلامية وباستثناء دول قليلة مثل تركيا وإيران من نير الاستعمار البريطاني والفرنسي والهولندي والإيطالي والروسي، وما إن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى شهد العالم رحيل الدولة العثمانية والتي وعلى مدى ما يزيد عن 600 عام كانت نقطة ارتكاز الحضارة الإسلامية وموئلتها.

إن من أبرز نتائج الاحتلال الأجنبي للدول الإسلامية، بالإضافة إلى سلب الإرادة السياسية ومصادرة الثروات الطبيعية، اضمحلال البنية العلمية

والصناعية في الدول المستعمرة المختلفة، وخلال فترة الاحتلال تجمدت جهود التنمية التعليمية والتكنولوجية والصناعية بشكل عام.

وعلى أعتاب النصف الثاني من القرن العشرين وفي منطقة الشرق الأوسط تحديدا نشأت إسرائيل في فلسطين الواقعة تحت الانتداب البريطاني وتفجرت إحدى أكبر الصراعات العسكرية والسياسية والحضارية في التاريخ المعاصر والتي كان لها وما يزال تأثيرا كبيرا على مسيرة التنمية في بلدان العالم الإسلامي.

أما مساهمة العالم الإسلامي في الاقتصاد العالمي فتصل في الوقت الحاضر إلى 5% وأقل من ذلك بكثير بالنسبة لمؤشرات العلوم والتكنولوجيا المختلفة سواء كان ذلك بالنسبة للإنفاق على العلوم والتكنولوجيا ومخرجات منظومات العلوم والتكنولوجيا من حيث الأبحاث المنشورة وبراءات الاختراع.

إن التاريخ الإسلامي الزاهر والإرث الحضاري الإسلامي في كافة المجالات لا يتناسب قطعاً مع مساهمة العالم الإسلامي في الاقتصاد العالمي ويمكننا هنا طرح بعض الحقائق التوضيحية حول الموضوع:

(أ) إن الناتج القومي الإسلامي للعالم الإسلامي برمته والذي يصل إلى 1.500 مليار دولار في العام لا يعادل الناتج القومي الإجمالي لبلد كفرنسا مثلاً.

(ب) إن الناتج القومي الإجمالي للدول الإسلامية في إفريقيا وعددها 21 دولة لا يتجاوز الناتج القومي الإجمالي لبلد أوروبي صغير هو بلجيكا يبلغ عدد سكانه 11 مليون نسمة.

(ج) بلغ الناتج القومي العربي (الناتج القومي للدول الأعضاء في جامعة الدول العربية) قرابة 700 مليار دولار سنوياً فقط، وذلك قبل الطفرة الأخيرة في أسعار النفط والتي ستؤدي إلى توفر فائض غير مسبوق في السيولة لدى بعض الدول النفطية نتمنى أن يستثمر في استكمال منظومة العلوم والتكنولوجيا.

أيتها السيدات، أيها السادة

إن معدل دخل الفرد في اية دولة غالبا ما يعكس المستوى الاقتصادي والاجتماعي والرفاهي للدولة، ومن هنا يمكن ان نستخلص ان الدول الإسلامية عامة هي دول محدودة الدخل بالمقياس العالمي بل ان مجموعة كبيرة منها تصنف كدول متدنية الدخل.

وإذا نظرنا إلى مكونات النواتج القومية الإجمالية للدول الإسلامية فنصل إلى النتائج التالية:

(أ) يتكون جزء كبير من الناتج القومي الإسلامي من صادرات لمواد أولية (نפט، مواد زراعية، الخ...) وليس مواد مصنعة، او مواد ذات قيمة مضافة عالية.

(ب) تساهم المساعدات الخارجية الواردة للدول الإسلامية في زيادة قيمة الناتج القومي للعديد من الدول الإسلامية بشكل يوحى بأنها افضل مما هي في الواقع.

من المؤشرات التنموية العديدة التي يمكن ذكرها في سياق تقييمنا للتنمية في عالمنا الإسلامي هي:

1- الديون الخارجية.

2- الصحة العامة.

3- الأمية.

وبمراجعة سريعة للإحصاءات المتوفرة حول هذه المؤشرات نجد ان غالبية الدول الإسلامية مثقلة بالديون الخارجية وتعاني من تدني مستوى الخدمات الصحية بشكل عام وارتفاع مستوى وفيات الأطفال.

اما بالنسبة للأمية، فانه باستثناء بعض الدول التي تتناقص فيها نسبة السكان الأميين مثل الأردن وفلسطين وبعض دول الخليج فان الدول الإسلامية كبيرة الحجم السكاني مثل مصر والباكستان وإندونيسيا وبنغلادش تعاني من زيادة نسبة الأمية في صفوف سكانها.

السادة العلماء

يعزى المستوى المتدني للدخل والتنمية في الدول الإسلامية لأسباب عديدة يمكن أن نوجزها بالضعف المزمن في البنية العلمية والتكنولوجية الأساسية في هذه الدول.

أما الموارد الطبيعية والقوى العاملة (متدنية التأهيل) فهي من العناصر المتوافرة في العالم الإسلامي حيث تمتلك الدول الإسلامية بشكل عام وفرة من القوى البشرية، ولكن هذه القوى البشرية غالباً ما تكون محدودة التأهيل. وتكاد تكون نسبة القوى البشرية عالية الكفاءة والتأهيل، والعاملات في مجالات العلوم البحثية والتطبيقية، غاية في التدني.

ويمكن في هذا السياق مقارنة أعداد الطلاب في المراحل المدرسية العليا والجامعية الأولى في المساقات الأدبية إلى نظرائهم في المساقات العلمية لنجد تفاوت كبير لصالح المساقات الأدبية.

يضاف إلى هذا النقص الكبير في حملة الشهادات العليا في مجالات العلوم (البحث والتطبيقية) وقلة الجامعات في الدول الإسلامية المؤهلة لمنح الشهادات العليا في هذه التخصصات، بالإضافة إلى التدني العام في مستوى التعليم الجامعي في بلداننا حيث أنه في الوقت الحاضر لا توجد جامعة واحدة في عالمنا الإسلامي ضمن قائمة أفضل 500 جامعة في العالم وذلك بحسب آخر الدراسات حول هذا الموضوع.

كما تفتقر المناهج التعليمية في العديد من الدول الإسلامية إلى الشمولية، وأحياناً إلى النسق العلمي والتطبيقي. وقد ينطبق هذا على مناهج التربية الإسلامية المدرسية، حيث تركز المناهج بشكل كبير على الجانب التاريخي والطقوسي للدين الحنيف على حساب الجانب الروحي، والأخلاقي القيمي للعقيدة وعلى الحث على البحث والاستقصاء.

وهنا لا بد لي من التطرق إلى موضوع التعليم وسياساتنا التعليمية سواء منها المدرسية أو الجامعية، فالتعليم في بلداننا يعاني من النمطية ولا تزال الأساليب البدائية العقيمة والمبنية على التلقين (البيغائي) قائمة حتى يومنا هذا. وهذه الطرائق لا تتناسب أبداً مع إطلاق مواهب الطلاب الابتكارية والإبداعية.

لقد أشار العديد من قادة الرأي إلى أهمية التعليم في المرحلة الحالية من رحلة البشرية حيث كان جوابهم حين سُئلوا عن أهم ثلاثة أولويات لدولهم بأنها (التعليم فالتعليم والتعليم).

وفي المراحل الدراسية المتقدمة والجامعية يتجه الراغبون بدراسة الفقه والعقيدة في كليات الشريعة الابتعاد عن معظم المساقات العلمية وتخلوا خططهم الدراسية مقررات في التاريخ العلمي الإسلامي كما أن طالب الفيزياء او الكيمياء لا يتعرض في جامعاتنا إلى مساهمات ابن الهيثم والرازي والكندي والفارابي في هذه العلوم ولو حتى تحت مدخل تاريخ العلماء المسلمين.

وأشير إلى هذا الداء التربوي الخطير الذي نعاني منه والذي أضحى جزءا من نمط تفكيرنا ألا وهو الفصل التام بين المساقات العلمية حتى بين طلاب العلم في المساقات المتشابهة، فما عاد طالب الطب على سبيل المثال يزامل طالب الأدب أو الشريعة أو حتى التمريض أو الصيدلة وما عاد التقليد الإسلامي العريق الذي أتقنه أجدادنا وهو الموسوعية والتعلم الشمولي موجودا بحيث يتبحر طالب العلم بشتى صنوف العلوم ويتقن معظمها إلى جانب التخصص في مضمار معين.

أما المبالغ التي تستثمرها الدول الإسلامية في البحث العلمي وفي العلوم والتكنولوجيا فهي لا تقارن بالمبالغ التي تستثمرها شركات كبرى في الغرب في مجال البحث. فشركة مايكروسوفت الشهيرة تنفق أضعاف ما تنفقه الدول العربية مجتمعة في مجال البحث العلمي.

إن الوصول إلى ما يسمى بـ "الوزن الحرج" في مجال العلوم والتكنولوجيا لأية دولة يكمن في استثمار نسب معقولة من الناتج القومي للدولة في مجال البحث العلمي (اقترحت منظمة الأمم المتحدة نسبة 1% من الناتج القومي الإجمالي خلال السبعينات) وكذلك نسبة 1 إلى 1000 من عدد العاملين في البحث والتطوير (عالم/ مهندس/ فني) لكل مليون من السكان للدولة.

أيتها الأخوات، أيها الأخوة

إن من أهم متطلبات التنمية التكنولوجية والاقتصادية وجود الرغبة العامة والإرادة السياسية لتحقيق هكذا تنمية وعادة ما يستخدم مثال اليابان وكوريا كدول دمرتها الحروب ولكنها تمكنت على مدى العقود الخمسة الماضية من تحقيق تنمية اقتصادية وعلمية وتكنولوجية مذهلة.

يضاف الى هذا توفر الرغبة العامة بتحسين الذات وهذا من الأمور الهامة والمطلوبة في تحفيز التنمية العلمية والتكنولوجية. ويكون بتنمية الحس الوطني والتكافلي، والرغبة في توفير حياة افضل للأجيال القادمة، وبالتثقيف والتعليم وزرع مفهوم حب العمل والتقدم لدى العامة.

وكما ذكرنا سابقا - فإن التاريخ الإسلامي الذي يزخر بالقيادات العلمية المبرزة والتي قدمت الكثير لمجتمعاتها، يجب أن يمثل حافزا كبيرا لعلماء الحاضر والمستقبل في الدول الإسلامية لبذل الجهد الخلاق في الإبداع العلمي والتميز.

وحيث أن الدول الإسلامية تعاني من مشاكل متشابهة سواء كانت بيئية أو مشاكل شح الموارد الطبيعية (المياه على وجه الخصوص) فإن التعاون الإقليمي وتبادل الخبرات العلمية يعتبر من أهم وسائل النهوض العلمي والتكنولوجي للبلدان الإسلامية.

ان القوة الحقيقية التي تملكها الدول في هذا العصر هي قوة العلوم والتكنولوجيا ومنها تُستمد القوة العسكرية والاقتصادية والوزن السياسي في عالمنا بقطبه الواحد، ولهذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية وهي مصنع الحائزين على جوائز نوبل في العلوم تمتلك أكبر اقتصاد في العالم.

على صعيد الإقليم ارتأى صانع القرار في إسرائيل أن القوة العسكرية وحدها لن تكون درعا لدولته فصب جهوده لبناء قاعدة علمية وتكنولوجية قوية وبنى جسور التواصل بين القيادة السياسية والمجتمع الأكاديمي. فأضحت القدرة العلمية والتكنولوجية لدى إسرائيل تضاهي مثيلاتها في بعض الدول الصناعية الكبرى، وذلك من خلال بناء مراكز البحوث المتخصصة وتأسيس أكاديمية علوم متميزة في مرحلة مبكرة نسبياً. هل من العسير علينا أن نتفكر في ذلك وأن يكون لدينا مثله؟

وفي عالمنا الإسلامي تمكنت ماليزيا على مدى العقود الثلاثة الماضية من التحول من اقتصاد زراعي خدمي متأخر الى اقتصاد مُصنع مُصدر للتكنولوجيا بعد أن اقتنعت القيادة السياسية بأهمية العلوم والتكنولوجيا وسخرت لها الموارد، وبعد أن وضعت للدولة هدفاً واضحاً تصبو إليه وتسعى إلى تحقيقه وهو الارتقاء بالدولة إلى مصاف الدول الصناعية بحلول عام 2020.

أيها الأخوة

تعتبر الحاجة إلى سياسات وطنية طويلة المدى في كافة المجالات من الأمور الهامة جداً للحكومات في كل الدول. بل ان البعض يعرف دور الحكومة دوما برسم السياسات وترك تنفيذ معظمها للمؤسسات المعنية وخصوصا في القطاع الخاص. وفي مجال التنمية العلمية والتكنولوجية فإن وجود هدف واضح لعامة الناس بعد وضع السياسة الوطنية للعلوم والتكنولوجيا يعتبر من الأمور الهامة جداً لتحقيق النهضة المطلوبة.

والمؤسف أن في الوقت الحاضر مجموعة قليلة فقط من الدول الإسلامية تمتلك سياسات من هذا النوع.

ان ضعف الموارد البشرية في العالم الإسلامي وقلة كفاءتها النسبية بالإضافة إلى قلة النشاط العلمي أدت إلى اعتماد دولنا الإسلامية بشكل كبير على الآخرين في مجال التكنولوجيا وإلى قلة كفاءة الصناعة في بلداننا.

كما أن الاعتماد التكنولوجي على الخارج يؤدي بالدول الإسلامية إلى استيراد ونقل ما تحتاج من تكنولوجيات وبأثمان باهظة تنقل كاهل البلد المستورد، وغالبا ما تكون هكذا تكنولوجيات في نهاية عمرها الافتراضي وبالتالي تكون الإفادة منها محدودة. وهذا يؤدي إلى تصنيع منتجات بمستوى متدني من الجودة يصعب تسويقها أو تصديرها.

يمكننا القول بأن جزء من العلاج المطلوب يكمن في زيادة الاهتمام على الصعيد الوطني والإقليمي وعلى صعيد الأمة بشؤون العلوم والتكنولوجيا،

ويتأتى ذلك بالإضافة إلى رسم السياسات في هذا المجال إلى الاهتمام بالتعليم بكافة مراحلها والاستثمار في البحث والتطوير العلمي.

أيتها السيدات، أيها السادة

إن من أهم ركائز منظومة العلوم والتكنولوجيا الوطنية في أي بلد هي أكاديمية وطنية للعلوم تكون بمثابة المستشار العلمي للقيادة السياسية تقدم النصح والمشورة في شؤون العلوم والتكنولوجيا بعيدا عن المؤثرات المحلية المختلفة.

وفي عالمنا الآن ما يزيد عن تسعين أكاديمية علوم معظمها يتمتع بالاستقلال المالي والإداري، وتلعب دورا هاما في توجيه القيادات السياسية في شؤون التنمية.

إنني أدعو القيادة السياسية الفلسطينية وبصفتي عضو شرف في أكاديمية فلسطين للعلوم والتكنولوجيا لزيادة دعمها لهذه الأكاديمية الناشئة لتمكينها من دراسة الأولويات والمشاكل التي تواجه السلطة الفلسطينية في الوقت الحاضر وتقديم النصح والمشورة للمجتمع في كافة الأمور التي تشمل أبعادا علمية وتكنولوجية.

كما أنني سأدعو أكاديميات العلوم في العالم للتعاون مع أكاديمية فلسطين لتمكينها من النهوض بمسؤولياتها والمساهمة في تأسيس وبناء الدولة الفلسطينية المنشودة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.